المحاضرة الثالثة

٢- بشارات علماء أهل الكتاب بنبوته:

أخبر سلمان الفارسي (رضي الله عنه) في قصة إسلامه المشهورة عن راهب عمورية حين حضرته المنية قال لسلمان (رضي الله عنه : إنه) قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج

بأرض العرب، مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما ،نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا ياكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فأفعل) . ومن ذلك إخبار أحبار اليهود ورجالاتها بقرب مبعثه عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك قصة أبي التيهان الذي خرج من بلاد الشام ونزل في بني قريظة ثم توفي قبل البعثة النبوية بسنتين، فإنه لما حضرته الوفاة قال لبني قريظة: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير ـ الشام الى أرض البؤس والجوع يعني: الحجاز - ؟ قالوا : أنت أعلم، قال: إني قدمت هذه البلدة أتوكف انتظر - خروج نبي قد أظلّ زمانه، وكنت أرجوا أن يبعث فأتبعه. وقد شاع حديث ذلك وانتشر بين اليهود وغيرهم حتى بلغ درجة القطع عندهم، وبناء عليه كان اليهود يقولون لأهل المدِينة المنورة: إنه قد تقارب زمان نبي يُبعث الآن، نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم ، وكان ذلك الحديث سببا في إسلام رجال من الأنصار وقد قالوا: إن مما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى وهداه، لما كنا تسمع من رجال اليهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم ،شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه تقارب الزمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم) .

٣- الحالة العامة التي وصل إليها الناس

كانت الأوضاع الفاسدة، التي وصل إليها الانسان في منتصف القرن السادس المسيحي أكبر من أن يقوم لإصلاحها مصلحون ومعلمون في افراد الناس، فلم تكن القضية قضية إصلاح عقيدة من العقائد، أو إزالة عادة من العادات أو إصلاح مجتمع من المجتمعات ولكن القضية كانت قضية اقتلاع جرثومة الفساد واستئصال شآفة الوثنية واجتثاثها من جِذورها، بحيث لا يبقى لها عين ولا أثر، وترسيخ عقيدة التوحيد في أعماق النفس الإنسانية ترسيخا لا يتصور فوقه، وغرس ميل الى إرضاء الله وعبادته، وخدمة الانسانية، والانتصار للحق، يتغلب على كل رغبة ويقهر كل شهوة، ويجرف كل مقاومة.

٤- إرهاصات نبوته (صلى الله عليه وسلم)

ومن إرهاصات نبوته (صلى الله عليه وسلم) تسليم الحجر عليه قبل النبوةٍ، فعن جابر بن سمرة (رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن ومنها الرؤيا الصادقة وهي أول مابدي له من الوحي فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وحبب إليه (صلى الله عليه وسلم) العزلة والتحنث (التعبد) فكان يخلو في غار حراء وهو جبل يقع في الجانب الشمالي الغربي من مكة، ويتعبد فيه الليالي ذوات العدد، فتارة عشرة

وتارة أكثر من ذلك الى شهر ، ثم يعود الى بيته فلا يكاد يمكث فيه قليلاً حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى ويعود الكرة الى غار حراء وهكذا الى أن جاءه الوحي وهو في إحدى خلواته تلك .

٥ - نزول الوحي:

كان عمر النبي (صلى الله عليه وسلم) قد بلغ الأربعين وكان يخلو في غار حراء بنفسه ويتفكر في هذا الكون وخالقه وكان تعبده في الغار يستغرق ليالي عديدة حتى إذا نفذ الزاد عاد الى بيته فتزود لليالي أخرى، وفي نهار يوم الأثنين من شهر رمضان جاءه جبريل بغته لأول مرة داخل غار الحراء ، وقد نقل البخاري في صحيحه حديث عائشة رضي الله عنها) انها قالت : (أول مابدئ به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال اقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني قال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الذِي عَلَمَ بالقلم ، فرجع بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال : زملوني ! زملوني، زملوني حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة، وكان امرا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له :ورقة : يا ابن اخي ماترى؟ فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له :ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ياليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي)

الشدة التي تعرض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) ووصف ظاهرة الوحي:

لقد قام جبريل عليه السلام بضغط النبي (صلى الله عليه وسلم) مرارا حتى أجهده وأتعبه، وبقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يلقى من الوحي شدة وتعب وثقل كما قال تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ، كان في ذلك حكمة عظيمة لعل منها بيان أهمية هذا الدين وعظمته وشدة الإهتمام به، وبيان للأمة أن دينها الذي تتنعم به ما جاءها إلا بعد شدة وكرب ، إن ظاهرة الوحي معجزة خارقة للسنن والقوانين الطبيعية حيث تلقى (صلى الله عليه وسلم) كلام الله بواسطة الملك جبريل (عليه السلام) وبالتالي فلا صلة لظاهرة الوحي بالإلهام أو التأمل الباطني أو الاستشعار الداخلي، بل إن الوحي يتم من خارج ذات النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتنحصر وظيفته بحفظ الموحي وتبليغه وأما بيانه وتفسيره فيتم بأسلوبه (صلى الله عليه وسلم). كما يظهر في أحاديثه وأقواله. إن حقيقة الوحي هي الأساس الذي تترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته وأخلاقه ولذلك اهتم المستشرقون والملاحدة من قبلهم بالطعن والتشكيك في حقيقة الوحي وحاولوا أن يأولوا ظاهرة الوحي ويحرفوها عن حقيقتها عما جاءنا في صحاح السنة الشريفة، وحدثنا به المؤرخون الثقات، فقائل يقول أن محمد (صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن ومبادئ الإسلام من بحيرا الراهب، وبعضهم قال بأن محمدا كان رجلا عصبيا أو مصابا بداء الصرع . والحقيقة تقول أن . محمد عليه الصلاة والسلام وهو في غار حراء فوجئ بجبريل أمامه يراه بعينه، وهو يقول له اقرأ، حتى يتبين أن ظاهرة الوحي ليست أمرا ذاتيا داخليا مرده إلى حديث النفس المجرد، وإنما هو استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات. وضم الملك إياه ثم إرساله ثلاث مرات قائلا

في كل مرة اقرأ ، يعتبر تأكيداً لهذا التلقي الخارجي ومبالغة في نفي ما قد يتصور، من أن الأمر لا يعدو كونه خيالا داخليا فقط.

ولقد أصيب النبي (صلى الله عليه وسلم) بالرعب والخوف مما سمع ورأى وأسرع إلى بيته يرجف فؤاده، وهذا يدل على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن متشوقا للرسالة التي سيكلف بثقلها وتبليغها للناس، وقد قال الله تعالى تأكيداً لهذا المعنى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمان ولكن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ } . لقد تساقطت آراء المشككين في حقيقة الوحي أمام ما حدثتنا به السيدة عائشة (رضي الله عنها) وقد استمر الوحي بعد ذلك يحمل الدلالة نفسها على حقيقة الوحي وأنه ليس كما أراد المشككون.

انواع الوحي:

تحدث العلماء عن أنواع الوحي فذكروا منها:

١- الرؤيا الصادقة:

وكانت مبدأ وحيه (صلى الله عليه وسلم، وكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقد جاء في الحديثِ رؤيا الأنبياء وحي، قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ.

٢ - الإلهام

وهو أن ينفث الملك في روعه أي قلبه من غير أن يراه، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن روح القدس نفث في روعي) أي: إن جبريل نفخ في قلبي (لن) تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب) .

٣- أن يأتيه مثل صلصلة الجرس

أي مثل صوته في القوة، وهو أشده، كما في حديث عائشة: أن الحارث (رضي الله عنه) سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم): كيف يأتيك الوحي؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني، فأعي ما يقول)

٤ - ما أوحاه الله تعالى إليه بلا وساطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران عليه السلام، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن وثبوتها لنبينا صلى الله عليه وسلم) في حديث الاسراء.

٥- أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحى إليه ماشاء الله تعالى أن يوحيه.

٦- أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول وله وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا)

لقد كان نزول الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بداية عهد جديد في حياة الانسانية بعدما انقطع وتاهت البشرية في دياجير الظلام. وكان وقع نزول الوحي شديدا على رسول اللهِ (صلى الله عليه وسلم) كما هو واضح من النص بالرغم من أنه كان أشجع الناس وأقواهم قلبا كما دلت على ذلك الأحداث خلال ثلاث وعشرين سنة، وذلك لأن الأمر ليس مخاطبة بشر لبشر

ولكنه كان مخاطبة عظيم الملائكة وهو يحمل كلام اللهٍ تعالى ليستقبله من اصطفاه الله جل وعلا لحمل هذا الكلام وإبلاغه لعامة البشر. ولقد كان موقفا رهيبا ومسؤولية عظمى لا يقوى عليها إلا من اختاره الله تبارك وتعالى لحمل هذه الرسالة وتبليغها . ومما يتصور رهبة هذا الموقف ما جاء في هذه الرواية من قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): القد خشيت على نفسي) وقول عائشة رضي الله عنها) في هذا الحديث: (فرجع بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) قال: زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع). ومما يبين شدة نزول الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (ولقد رأيته تعني رسول الله (صلى الله عليه وسلم)- ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصح عنه وإن جبينه ليتقصد عرقا) ، وحديث عبادة بن الصامت (رضي الله عنه قال: كان نبي الله (صلى الله عليه وسلم) إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه)

- **أثر المرأة الصالحة في خدمة الدعوة**

فرجع بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني زملوني ! فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق". كان موقف خديجة (رضي الله عنها) يدل على قوة قلبها حيث لم تفزع من سماع هذا الخبر واستقبلت الأمر بهدوء وسكينة، ولا أدل على ذلك من ذهابها فور سماعها الخبر الى ورقة بن نوفل وعرضت الأمر عليه ، فكان موقفها (رضي الله عنها من خبر الوحي يدل على سعة إدراكها حيث قارنت بين ما سمعت وواقع النبي (صلى الله عليه وسلم) فأدركت أن من جبل على مكارم الأخلاق لا يخزيه الله أبدا، فقد وصفته بأنه يصل الرحم ، وكون الانسان يصل أقاربه دليل على استعداده النفسي لبذل الخير والاحسان الى الناس، فإن أقارب الانسان هم المرآة الأولى لكشف أخلاقه، فإن نجح في احتواء اقاربه، وكسبهم بماله عليهم من معروف كان طبيعيا بأن ينجح في كسب غيرهم من الناس . فقد سارعت الى إيمانها الفطري، والى معرفتها بسنن الله تعالى في خلقه، والى يقينها بما يملك محمد (صلى الله عليه وسلم من رصيد الاخلاق، وفضائل الشمائل، ليس لأحد من البشر رصيد مثله في حياته الطبيعية التي يعيش بها مع الناس، فكانت موقنة بأن زوجها فيه من محاسن الأخلاق الرصينة، وفضائل الشيم المرضية، واشرف الشمائل العلية ما يضمن له الفوز ويحقق له النجاح والفلاح . ولم تكتفي خديجة (رضي الله عنها) بمكارم أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم على نبوته بل ذهبت الى ابن عمها العالم الجليل ورقة بن نوفل رحمه الله الذي كان ينتظر ظهور نبي آخر الزمان لما عرفه من علماء أهل الكتاب على دنو زمانه واقتراب مبعثه وكان لحديث ورقة اثر طيب في تثبت النبي (صلى الله عليه وسلم) وتقوية قلبهٍ وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن الذي خاطبه هو صاحب السر الأعظم الذي يكون سفيرا بين الله تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة لقد صدق ورقة بن نوفل برسالة النبي (صلى الله عليه وسلم وشهد له النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين) . وعن عائشة رضٍي اللهٍ عنها) أن خديجة (رضي الله عنها) سألت رسول الله عن ورقة فقال: (قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض) . وروى عن جابر بن عبدا الله (رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل عن ورقة بن نوفل فقال: (ابصرته في بطنان الجنة وعليه السندس) . لقد قامت خديجة رضي الله عنها بدور مهم في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) لما لها من شخصية في مجتمع قومها، ولما جبلت عليه من الكفاءة في المجالات النفسية التي تقوم على الأخلاق العالية من الرحمة والحلم والحكمة والحزم وغير ذلك من مكارم الأخلاق، والرسول (صلى الله عليه وسلم) قد

وفقه الله تعالى بهذه الزوجة المثالية، لأنه قدوة للعالمين وخاصة الدعاة إلى الله، فقيام خديجة بذلك الدور الكبير إعلام من الله تعالى لجميع حملة الدعوة الاسلامية بما يشرع لهم أن يسلكوه في هذا المجال من التاسي برسول الله حتى يتحقق لهم بلوغ المقاصد العالية التي يسعون لتحقيقها ، وصدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول: (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة).